



أثارت تصريحات الملك الأردني عبدالله الثاني قبل أيام، التي عبر فيها عن عزم الأردن تقديم الدعم للعشائر العربية السنوية الموجودة شرقي سوريا وغرب العراق ردود فعل متباعدة، تراوحت بين الرفض والقبول في أوساط شيوخ العشائر السورية. تردد أظهر مدى تشتت هذه العشائر وتناقض مواقف شيوخها بعد ثلاث سنوات من غيابها عن التأثير الفعلي في مشهد الحرب السورية.

وكان الملك عبدالله الثاني قد أعلن عن رؤية الأردن التي تتمثل بدعم العشائر العربية الموجودة في المناطق التي يوجد فيها تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) ويهدّها، على اعتباره واجباً أردنياً، وأشار إلى أن العالم "يدرك أهمية دور الأردن في حل المشاكل في سوريا والعراق وضمان استقرار وأمن المنطقة"، دون أن يوضح طبيعة الدعم الذي يتوجب على الأردن تقديمه للعشائر في سوريا والعراق.

خلال أيام قليلة تلت تصريحات العاهل الأردني، التي جاءت أثناء لقائه بشيوخ عشائر المنطقة الشمالية من الأردن، دعا النظام السوري شيوخ العشائر السنوية الموالين له من المقيمين بدمشق إلى اجتماع في أحد فنادق العاصمة السورية، حيث أقيم لهم اجتماع قصير تلته قراءة بيان باسم الشيوخ الحاضرين للجتماع.

نص البيان الذي قرأه الشيخ محمد الفارس، أحد مشايخ عشيرة طيّ العربية والعضو في مجلس الشعب التابع للنظام السوري، على أن "العشائر السورية ترفض رفضاً قاطعاً ونهائياً دعوة أو طرحاً أو مشروعأً يجردها من جوهرها الوطني وسوريتها وعروبتها وتؤكد أن القومية العربية والوطنية السورية هي حامل انتمائها الديني وإسلامها"، ودعا البيان العاهل الأردني إلى عدم تنفيذ تصريحاته لأنها "تمس بأمن سوريا وسلمامة أراضيها".

مليشيا الجيش الشعبي:

اللافت أن الشیخ محمد الفارس الذي قرأ بيان العشائر هو قائد مليشيا الجيش الشعبي في مدينة القامشلي أقصى شمال شرق سوريا، وتعرف المليشيا التابعة له بين السكان باسم "مجموعات المقنعين"، وهي تتقاسم السيطرة مع قوات "حماية الشعب" الكردية على مدينة القامشلي، بالرغم من وقوع مناوشات بين الطرفين بالأسلحة الخفيفة بين الحين والآخر، وتسيطر مليشيا "الجيش الشعبي" على الأحياء العربية في المدينة وأهمها حارة طي، فيما تسيطر قوات "حماية الشعب" على الأحياء التي تسكنها غالبية كردية.

في المقابل، أصدر شيوخ العشائر المعارضون للنظام السوري بياناً رحبو فيه بتصريحات الملك الأردني، جاء فيه "نثمن موقف ملك الأردن ونشد على موقفه الوطني لتسلیح وتدريب عشائر سوريا وأبناء القبائل السورية لتحرير سوريا من النظام الأسدی ومن ارهاب (داعش)، ونؤکد أننا جاهزون لإرسال آلاف الشباب للتدريب في الأردن".

ووقع على هذا البيان شیوخ ثمانية عشر عشيرة عربية تسکن شرق وشمال ووسط سوريا، منها عشائر البکاره والحسنة والموالی والعکيدات وشمر وعدوان وعنة والولدة والجبور والمشاهدة وغيرها. وكان لافتاً توقيع الشیخ محمد النایف، وهو أحد مشايخ عشيرة طي، على بيان الشیوخ المعارضین للنظام السوري. ويعتبر محمد النایف المنافس لابن عمه محمد الفارس في زعامة عشيرة طي العربية شمال شرق سوريا.

تکتیک اعتمده النظام السوري:

تشیر موافق العشائر المتباینة من تکتیک اعتمده النظام السوري خلال سنوات حکمه الطولیة، إذ قام باستقطاب ودعم زعماء عشائر عربية في سوريا على حساب أبناء عمومتهم المعارضین لهم، بحيث حاز هؤلاء على المال والسلطة ما مکنهم من السيطرة على أبناء عشائرهم، وبالتالي تمکن النظام من تحجیم دور أبناء العشائر في الثورة التي اندلعت عام 2011 وخصوصاً في محافظة الحسکة.

غير أن ضخامة عدد أبناء بعض العشائر السورية أفقد النظام السوري القدرة على السيطرة عليها، كما حصل في مدينة دیر الزور وريفها التي تسکنها عشائر العکيدات والبکاره والبوسرايا والبکاره التي خرج أبناؤها في التظاهرات المناوئة للنظام السوري، ثم حمل كثیر منهم السلاح ضمن فصائل المعارضة السورية التي قاتلت النظام وتمکنت من طرد قوات النظام من ريف دیر الزور ومن معظم أحياء مدينة دیر الزور.

وجرى كل ذلك قبل أن يتقدم تنظیم "داعش" ويرتكب مجازر کبری ضد العشائر التي عارضت وجوده وقاتلته، وكان في مقدمة هذه العشائر عشيرة الشعیطات التي تمکن التنظیم من السيطرة على مناطق وجودها بعد معارک عنيفة قبل أن ینتقم من أبنائها بإعدام العشرات منهم وتهجير عائلاتهم نحو منطقة تلغر العراقیة، التي یسيطر عليها "داعش"، بحسب المرصد السوري لحقوق الإنسان.

تسلیح العشائر السورية:

ولا يبدو أن تسلیح العشائر السورية بهدف قتال تنظیم "داعش" سيكون أمراً فعالاً في المدى المنظور، خصوصاً مع سيطرة "داعش" على معظم محافظة دیر الزور وريفی الحسکة الجنوبي والشرقي، ومعظم محافظة الرقة وأرياف حلب وحماء وحمص الشرقیة، والتي تسکنها العشائر العربية.

وتمكن "داعش" بحکم سيطرته على هذه المناطق ذات التركيبة العشائرية من استقطاب عدد کبیر من أبناء هذه العشائر، خصوصاً مع اندلاع معارکه ضدّ قوات "حماية الشعب" الكردية، الأمر الذي زاد الوضع تعقیداً وجعل أبناء العشائر العربية في الجزیرة السورية بين سندان "داعش" ومطرقة انتهاکات قوات "حماية الشعب" الكردية، كما تمکنت فصائل المعارضة السورية إبان سيطرتها على شرق سوريا في الفترة الممتدة من نهاية عام 2011 وحتى بداية العام الماضی، من استقطاب آلاف أبناء العشائر في صفوفها، بحيث أصبحت تبعية هؤلاء لفصائلهم بعيداً عن خلفياتهم العشائرية.

ويضعف كل ذلك من احتمالات نجاح الأردن في تنفيذ برنامج حقيقي لتسليح وتدريب العشائر العربية في سوريا، كي تتمكن من مواجهة تنظيم "داعش"، حتى ولو حصل الأردن على دعم دولي وإقليمي، ويبقى أمام المملكة الأردنية خيار الاستفادة من العلاقات التاريخية بين العشائر الأردنية التي تسكن شمال البلاد والعشائر السورية التي تسكن في محافظة درعا جنوب سوريا، كي تعمل على زيادة الدعم العسكري واللوجستي لقوات المعارضة السورية في درعا المكونة من أبناء العشائر العربية في درعا.

بحيث تواصل تصديها لتنظيم "داعش" وتمكنه من الاقتراب من المحافظة وبالتالي من الحدود الأردنية، قبل أن تغير المعطيات الميدانية بشكل يسمح بتنفيذ برنامج تسليح وتدريب فعال للعشائر العربية في شرق سوريا، بحيث تتمكن من القضاء على "داعش" وتواجه أخطار تمدد قوات "حماية الشعب" الكردية.

العربي الجديد

المصادر: